مقال مراجعة موضوع (Article Review)

The Fatal Flaw of the New Middle East

Gaza, Syria, and the Region's Next Crisis

https://link.foreignaffairs.com/view/63353a99d56d82a879058adfn1hiu.fh1i/8935caef

مراجعة: ا.م.د. محمد كاظم عباس المعيني

مركز الدراسات الاستراتيجية والدولية- جامعة بغداد

BY: Maha Yahya

Foreign Affairs, Vol. 104, No. 2: Published on February 21, 2025

الخلل القاتل في الشرق الأوسط الجديد

"غزة وسوريا والأزمة المقبلة في المنطقة"

بقلم: مها يحيى

تاريخ الاستلام ٦/ ٤/ ٢٠٢٥ تاريخ القبول ٢٠/٤/ ٢٠٢٥

تاريخ النشر ٣٠/٤/٢٠٢٥

أخطاء قاتلة في بنى الشرق الأوسط الجديد

عانى الشرق الأوسط وعلى مدى العقدين الماضيين، من دمار كبير للبنى التحتية، حيث دمرت الكثير من المدارس والمستشفيات وشبكات الصرف الصحي وشبكات ومحطات الكهرباء وسكك الحديد وغيرها، فضلاً عن خسائر مادية وبشرية هائلة ونزوح وتهجير ملايين الناس، بسبب الحروب والنزاعات المسلحة والازمات السياسية، لاسيما بعد احتدام القتال العنيف في ليبيا واليمن وغزة ولبنان وسوريا، اذ أدى العنف المتبادل الى تراجع المكاسب التي حصلت عليها بعض شعوب المنطقة في مجالات التعليم والصحة وتحسن مستوى الدخل، واثبتت التجربة على ان الحرب في غزة مثلا كانت مدمرة بمختلف المقاييس، اذ اعادت المؤشرات الاجتماعية والإقتصادية الخاصة بالقطاع لمستويات العام ١٩٥٥ عندما كان تابعاً للسيادة المصرية ولو اسمياً، ولقد قدر البنك الدولي ومنظمات الأمم المتحدة ان الكلف المترتبة على إعادة بناء الشرق الأوسط وتوفير المساعدات الإنسانية الكافية سيكلف ما بين (٣٥٠) و(٦٥٠) مليار دولار، وقدر برنامج الأمم المتحدة الإنمائي ان غزة لوحدها بحاجة لما يقارب (٤٠) الى (٥٠) مليار دولار لوحدها لإعمار ما دمرته آلة الحرب الإسرائيلية في أكثر من عام، يمكن القول ان حجم الدمار في جميع ارجاء الشرق الأوسط يماثل ولحد كبير الدمار الذي واجهته أوروبا غداة الحرب العالمية الثانية، فضلاً عن الخسائر البشرية المهولة، إذ تم القضاء على الإقتصاديات بأكملها.

لعلنا لا نجانب حقيقة ان تقديم المساعدات الإنسانية والمادية لهذه المجتمعات الضعيفة والمُدمرة هو امر مهم جداً، وان قيام الغرب وعلى راسهم الولايات المتحدة الامريكية بتقليص المساعدات الانسانية الى تلك الشعوب هو امر مقلق؛ ولكنه لا تعد المعضلة الوحيدة في اعادة الاعمار تلك المناطق، بل ان البنية السياسية الهشة النابعة من الدول

الفاشلة، الى جانب وجود قوى دولية اخرى تعمل على استغلال هذه الفوضى لمصلحتها الخاصة تجعل من عملية السلام هدفاً قد يكون مستحيلاً.

لم تنجح القوى الكبرى ومنذ زمن في معالجة اسباب الصراع الحقيقية، وظلت تلك القوى متمسكة برؤاها القديمة بشأن آليات حل الصراع، وتحاول صياغة هوية للمنطقة على هواها وايجاد معادلة تجمع بين الأمن والسلام، على الرغم من وجود طروحات كانت نوعا ما مقبولة، مثل محاولة التطبيع بين (اسرائيل) والسعودية، وتحقيق تكامل اقتصادي ايراني خليجي؛ ولكن مثل هكذا محاولات لن تضع حداً للعنف او تمنع نشوبه مرة اخرى، بل ربما تكون عامل مشجع لتأجيجه مرة اخرى، لذا فان تغيير المسار مسألة ضرورية وحتمية ويفترض ان تقوم دول المنطقة بالتوقف عن التستر على الانقسامات الإقليمية والمحلية، وان تسعى لمعالجتها بشكل فعلي، وان تعمل بكل ما في وسعها على التقاء المجتمعات المتصدعة وتعمل على انشاء مؤسسات سياسية فاعلة، وان تعزز أنظمة العدالة الانتقالية، وعلى الفلسطينيين مثلاً ان يعملوا على إيجاد اطار سياسي يعترف بحقهم في تقرير المصير، والبدء بعملية إعادة الاعمار وحل الخلافات البينية او على الأقل ادارتها بشكل أفضل، والا فلن يكون هنالك أي أهمية للمبالغ التي ينفقها العالم على إعادة الاعمار طالما بقي التمزق والتناحر مهيمناً على الموقف.

تجنب المشاكل من أساسها

لا يمكن حتى الادعاء بان الولايات المتحدة وإسرائيل قادرتان على تحقيق السلام عن طريق تجاهل الفلسطينيين، وعلى الرغم من ان الشرق الأوسط بحاجة لما يشبه مشروع مارشال، الا انه يفتقد في حقيقة الامر لدولة قادرة على توجيه دفة الأمور كما فعلت واشنطن غداة الحرب العالمية الثانية، ولا يوجد اجماع حول الكيفية التي يمكن عن طريقها اخراج المنطقة من المستنقع الذي تعيش فيه، بل على العكس من ذلك يعاني الشرق

الأوسط من الانقسام والتنافس ولعل ما يجمع كل من ايران والسعودية وتركيا وإسرائيل والولايات المتحدة هي انها تتجاهل التحديات الأساسية التي تواجه المنطقة أصلاً. تعتقد واشنطن جازمة بان صورة الشرق الأوسط الجديد يتضمن اضعاف ايران وهي المنافس الإقليمي الرئيسي للولايات المتحدة، والعمل على تطبيع العلاقات بين السعودية وإسرائيل على امل فتح الأبواب لاستثمارات جديدة في المنطقة والمساهمة في إعادة اعمار غزة، فواشنطن تؤمن وبدون مواربة بان اعمار غزة يفترض ان يتم بأموال عربية، ولكن أي مشروع اقتصادي من هذا النوع لا تدعمه أي جهود سياسية او أي افق لحل سياسي يرضي الفلسطينيين لا يكتب له النجاح، لقد قدمت واشطن حلاً يتضمن بيئة فارغة تماماً من أي فلسطيني، أي اجراء عملية تطهير عرقي وفراغ سياسي غير خاضع للحكم الذاتي، وهو ما يخيل لتل ابيب بانه سوف يؤدي لقدر من الاستقرار، اذ نمت في ظل السياسة التي اتبعها صقور السياسة الإسرائيلية مشاعر تؤيد ضرورة استمرار سياسةردع أي توجهات راديكالية في الصف الفلسطيني، ولهذا فهم يؤيدون استمرار القصف ضد حماس وكذلك السعي لإضعاف ايران وحزب الله، ولا تريد إسرائيل اعمار غزة الا بعد القضاء بشكل نهائي على حماس، وهو هدف يكاد يكون مستحيلاً.

لم تعد الأهداف (الإسرائيلية) في الحرب تحظى بنوع من المشروعية، اذ انها لا تلبي أي قدر من الاخلاق التي يفترض ان تلتزم بها دولة تدعي التمسك بالنظام الديمقراطي؛ فالفلسطينيين لديهم الحق الكامل في تقرير المصير كما ان اهداف (إسرائيل) ذاتها لم تعد قابلة للتطبيق، ومهما حاولت الولايات المتحدة (وإسرائيل) فلن تتمكنا من تحقيق السلام العادل والشامل عن طريق تجاهل الفلسطينيين ومطالبهم، قد تكون إدارة ترامب الأولى نجحت لحد ما في تحشيد عدة دول عربية باتجاه تطبيع علاقاتها مع (إسرائيل) وهي كل من البحرين والامارات والمغرب والسودان، وبما كان يفضي لإنشاء تكتل امني

وتجاري واستثماري بزعامة (إسرائيل)، وبمقابل ذلك التطبيع قامت (إسرائيل) بالتوسع في بناء المستوطنات وزادت من وتيرة القمع ووسعت هيمنتها في الأراضي الفلسطينية، وردا على أي مشروع لتصفية القضية الفلسطينية في ظل ما عرف باسم صفقة القرن شنت حماس هجومها الكاسح في السابع من تشرين الأول في العام ٢٠٢٣ والتي قوضت عمليا كل عمليات التطبيع والاعتراف، وبدا انه لا يمكن حد او نهاية لمثل هذه المعركة والتي أوقفت التقدم نحو إمكانية وجود اتفاق يتم عن طريقه تطبيع العلاقات بين إسرائيل والسعودية، ودفعت ايران للواجهة، إذ ان أسلوب الكفاح المسلح بدا هو النهج المفضل للتعامل مع إسرائيل، حيث أدت هذه العملية لهجمات إيرانية (وإسرائيلية) متبادلة، وسعت ايران لتقديم اقتراح لعملية سلام تؤدي لتقويض عدوها، اذ عرضت الانضمام لجيرانها العرب في ميثاق عدم اعتداء وتحالف اقتصادي يرمي لعزل (إسرائيل)، وبنهاية حرب غزة بدت (إسرائيل) وكإنها الطرف الأكثر قدرة على التدمير والتطرف والتوسع والسعي لقضم المزيد من الأراضي.

قد لا يجعل ذلك رؤية إيران أكثر واقعية او الأكثر فاعلية، إذ إن خطة إيران تعترف بحق الفلسطينيين في تقرير المصير، كما وان الدول العربية تريد إنهاء الفوضى الإقليمية، وليس مجرد إنهاء الصراع (الإسرائيلي) الفلسطيني، ثم هناك رؤية طرحتها دول الخليج العربية (البحرين والكويت وعمان وقطر والمملكة العربية السعودية والإمارات العربية المتحدة) عن طريق مجلس التعاون الخليجي، وربما تكون هذه الرؤية هي الأكثر طموحا، وتتضمن مقترحات المجلس قيام دول الخليج بتعميق تكاملها الاقتصادي، وإنشاء آليات دفاع مشتركة، ثم حل الصراع (الإسرائيلي) الفلسطيني بطريقة أو بأخرى عن طريق حل الدولتين الذي أصبح مستحيلا عمليا في الوقت الحاضر، والاقتراح الخليجي كما هو

الحال مع الاقتراح الإيراني، يعترف على الأقل بأن إنهاء هذا الصراع هو المفتاح لتحقيق السلام والاستقرار في المنطقة.

نشر الفوضى

تكمن الكثير من المشكلات والأزمات في منطقة الشرق الأوسط في الاليات الخاصة بالمشاركة في الحكم، ولقد انقسمت وانهارت العديد من البلدان بسبب هيمنة جهة واحدة على كل مفاصل الحكم او انها أنشأت ديكتاتورية حزبية نخرها الفساد كما هو الحال مع سوريا، والتي أدت فيها الحرب الاهلية التي نشبت منذ العام ٢٠١١ الى اضعاف العلاقة بين دمشق وبعض المناطق التي احتلتها جماعات متطرفة وجماعات عرقية؛ فسيطر الاكراد على مناطق شرق الفرات وجماعات متطرفة في الشمال في ادلب وأخرى في الجنوب اقل تطرفاً وادار الدروز مناطقهم بمنأى عن النظام، واحتفظ النظام بحاضنته العلوية في الجبل والساحل، ولم تتمكن ما عرفت باسم هيئة تحرير الشام من الوصول لدمشق الا بعد تسوية دولية وهي تضم مجموعة كبيرة من المقاتلين غير السوريين، ورغم الوعود الكثيرة التي قطعها الجولاني زعيم التنظيم على نفسه بانه سوف يتعامل مع كل أبناء سوريا بعدل ومساواة، الا ان وعوده تلك لم تجد لديها أي مصداقية، اذ ارتفعت عمليات القتل الانتقامية والعنف الغوغائي والذي يستهدف العلويين والمسيحيين والشيعة في ظل غياب عملية سياسية شاملة، اذ ستظل سوريا ممزقة بشتى أنواع الانقسامات، كما أدى التدخل الدولي إلى تعميق هذه الخلافات وسيستمر في تعميقها، وستتنافس القوى الرئيسة في الشرق الأوسط باستمرار للحصول على المزيد من النفوذ الإقليمي، عندما تحدث الحروب غالباً ما تدعم هذه القوى مجموعات مختلفة، في سوريا على سبيل المثال، دعم تركيا لهيئة تحرير الشام وفصائل أخرى في الشمال، وتساعد الولايات المتحدة الأكراد، وللأردن والإمارات العربية المتحدة نفوذ وتأثير كبير على قيادة العمليات

الجنوبية والتي يرأسها احمد العودة، وتحاول (إسرائيل) تعزيز علاقاتها مع المجتمع الدرزي في سوريا واستخدمت الفراغ في السلطة لاحتلال حوالي ١٥٥ ميلاً مربعاً من الأراضي السورية.

حتى لو تمكنت هذه البلدان من تسوية خصوماتها بالكامل، فإنها لن تتمكن من ضمان السلام، او العودة الآمنة للنازحين، وإصلاح النسيج الاجتماعي الممزق، فليس هناك ما يضمن امتثال هذه الجهات الفاعلة التي تقسيها سنوات من الحرب، وسوف تكون قضية العدالة الانتقالية على وجه الخصوص شائكة بعد انتهاء الحرب الأهلية، ويتطلب الأمر قدراً من التسامح حتى تتمكن المجتمعات من التعافي؛ سيتعين على قادة سوريا الجدد محاسبة كبار المسؤولين في نظام الأسد على الفظائع التي ارتُكبت على مدى ٥٤ عاماً من الحكم الاستبدادي، والفشل في القيام بذلك لن يؤدي إلا إلى تشجيع المزيد من الأعمال الانتقامية الفردية وهو ما يحصل فعلا وبشكل يومي وهذا من شأنه ان يجعل من الصعوبة بمكان التوصل لحل سلمي ودائم وعادل لاي ازمة يواجهها النظام.

لا عدالة، لا سلام

تبدو التحديات في غزة أكثر عمقاً وتاثراً من بقية المناطق من حيث حجم الدمار ونطاقه، حيث ان غزة ليست دولة ولا تسيطر على حدودها، ومحاصرة ومعزولة عن العالم الخارجي، وتفتقر إلى كل أنواع الموارد الأساسية، ولا توجد خطة واضحة بشأن من سيتولى زمام المبادرة في إعادة بناء القطاع ثم حكمه، وفي الأمد القريب، قد تحتاج غزة إلى إدارة سلطة انتقالية ينشأها مجلس الأمن، وفي نهاية المطاف، سوف تحتاج غزة إلى أن يحكمها فلسطينيون يتمتعون بدعم ديمقراطي. لا شك أن هناك شرق أوسط جديد في طور التشكل، ولكن في غياب الحل السياسي، لن تحقق إعادة الإعمار الكثير على المدى الطويل؛ فهي لا تستطيع إصلاح اختلالات التوازن في القوة، أو التوترات العرقية،

أو المؤسسات الفاشلة التي تتسبب في إراقة الدماء المستمرة؛ ولن تدفع القوى الأجنبية إلى العمل معاً، بدلاً من العمل في أغراض وأهداف متعارضة، وربما تساعد الناس حرفياً في إعادة بناء منازلهم ومتاجرهم ومدارسهم؛ ولكن إلى أن يتحقق السلام الدائم، فقد تنهار هذه المباني من جديد عندما يعود الصراع بشكل حتمي.